إذا ما شربت الخمر

قال له بعض الكلابيين: أشْربُ هذه الكأس سروراً بك، فقال له ارتجالاً: [الطويل]

إِذَا مَا شَرِبْتَ ٱلْخَمْرَ صِرْفاً مُهَنَّأً
شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكَرْمُ(١)
أَلَا حَبَّذَا قَوْمٌ نُدَامَاهُمُ الْقَنَا
يُسَقُّونَهَا رِيًّا وَسَاقِيهِمُ الْعَزْمُ(٢)

أطعناك طوع الدهر

وقال يمدح الحسين بن إسحاق التنوخي: [الطويل]

مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلْمِهَا غَايَةُ الظُّلْمِ
لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ السُّقْمِ(٣)
فَلَوْ لَمْ تَغَرْ لَمْ تَزْوِ عَنِّي لِقَاءَكُمْ
وَلَوْ لَمْ تُرِدْكُمْ لم تَكُنْ فِيكُمُ خَصْمِي(٤)

---

(١) صرفاً: صافياً لم يُمزج. يترفع الشاعر عن شرب الخمرة التي لم تُمزج بالماء، فشربه الماء دون سواه، إنه مشروب الكرمة.

(٢) الندامى، الواحد نديم: هو من يشارك شارب الخمرة في الشرب والحديث. يُعلن الشاعر عن حبّه وإعجابه بمن يُقاتل ويجعل القنا أليفة ونديمة له، تتكافأ بينهما المصالح، هو يسقيها دماء الأعداء فيرويها، وهي ترفع من شأنه وتُعلي مركزه فيتبوّأ ذرى المجد لشدّة عزمه وبأسه باستعمالها.

(٣) ورد البيت في: أسرار البلاغة، للجرجاني: ٣١٨. ملامي: لومي. النوى: البعد. السقم: المرض. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية بمطلع غزلي. الفراق شيء معنوي يرتبط بإحساس المرء ووجدانه. يلوم الشاعر البعد لأنه كان سبباً في التفريق بينه وبين حبيبته، وفي ذلك ظلم ما بعده ظلم، ولا بدّ من سبب حمل محبوبته على البعد، إنه البعد نفسه فقد يكون عاشقاً لمحبوبته كعشقه إياها.

(٤) زواه: نحّاه. يُردف الشاعر معلّلاً السبب الذي من أجله أن النوى يحول بينه وبين حبيبته، إنها الغيرة، غيرة البعد، الخصم المعاند في حبّ محبوبة الشاعر، لقد حرمه اللقاء، وفي نيّته الاستئثار بالمحبوبة دون سواه وتنحيته عنها.